

يوم التأسيس

مذبحة وليمة خرفاش

---مسودة منقولة بتصريف واختصار من كتاب سيرة والدي عبدالله بن خثلان رحمه الله.

وادي حنيفة منذ قديم الزمان في ولاية بنو حنيفة من بكر بن وائل ربيعة، وعرفنا منهم في فجر الإسلام، ثمامة الحنفي صاحب الميرة، ثم مسيلمة الحنفي الكذاب، وأما طسم وجديس وثعلبة فلم يثبت عنهم ذكر وتسكنه معهم عشائر من قحطان وتميم وجعدة سبيع. وهو يمتد من الشمال حيث منابعه في الحيسية شرق تلال طويق، وينحدر صوب الجنوب الشرقي، حتى حائر سبيع فيلتقي مع نساح والأوسط. ويعتبر مع وادي نعام ووادي برك، أكبر أودية وسط جزيرة العرب، وبعد مفيضه من هناك يتجه نحو جو الخضرمة، في اليمامة شرق الخرج، حيث أراضي ذات تربة خصبة، تسيح فيها المياه من جوف الأرض. كما توجد على ضفافه عشائر من هوازن وتميم وقحطان وغيرهم، ويعتقد كما ورد في سيرة والدي رحمه الله، ان أكثرهم من نسل طسم وجديس البائدة. أما قوم تُبع فربما ان من نسلهم قحطان اليمن (سد مأرب) وعمون مسقط، الذين سيطروا في زمن قديم على السواحل الشرقية لجزيرة العرب، من نزوى حتى البصرة.

بعد عمرة القضاء وفد على المصطفى في المدينة المنورة، أقوام من قلب جزيرة العرب بايعوه وأسلموا، منهم أسلاف سبيع بنو جعدة بن كعب من عامر بن صعصعة هوازن، واقطعهم من الحبونية (عتيقة) حتى أفلاج ليلي بني عامر. وآخرون من بني حنيفة وأقطعهم الأراضي الخالية من (مخرج 20 حالياً) منفوحة والجزعة، تمتد جنوباً حتى يمامة الخضرمة شرق سبيح الخرج، حيث تنبع المياه من باطن الأرض والتربة خصبة، وتزرع الحنطة والنخيل والفواكه والعلوفة. كما وفد نحوه عليه الصلاة والسلام، قوم غلاظ من تميم (الحجرات) واقطعهم الفيافي أسفل طويق غرباً، في ثرماء وضرماء وقرقرى الوشم. وبعد وفاته ظهرت حركات الردة في نجد ومسقط واليمن، وانبرى الصديق لقتال كبيرهم "مسيلمة" الذي أغوته فاجرة عراقية،

تدعي ساعة أنها تغلبية وأخرى تميمية، وروي لنا أنهما صاحبي قصيدة المخدع، حيث تريده أجمع وعلى أربع! وجاء جيش الصحابة رضي الله عنهم، فخرج لهم مسيلمة من بلدة اليمامة، واتجه غرباً لملاقاتهم أعلى عقبة طويق، وحاربه المؤمنون من بني عامر وحنيفة وتميم، ولما تفهقر شرقاً لاحقوه في الجبيلة والعيينة وقضوا عليه، وما زالت مقابر الصحابة (زيد بن الخطاب) شاهدة على تلك الملحمة.

في أواخر القرن الأول اتسعت حركات الخوارج، وكان أخبثهم الحروريون وواوسطهم الأزارقة واهونهم ضرراً الإباضية، وجاءت لنجد عصابة مسلحة بقيادة لص زنديق، يقال له نجدة الحنفي نشر الرعب والمنكرات. وقاتله الشرفاء من بنو عامر وحنيفة وتميم وقحطان، بمساندة من فرقة مقاتلة من الأمويين في دمشق، وتمكنوا من القضاء عليه واعدائه، وهو يدعي النسب لغير أبيه ويكاد اجماع الأمة آنذاك انه من شذاذ الآفاق في جنوب العراق، بين واسط والكوفة أرض الشقاق والنفاق وسيئ الاخلاق.

أثناء الربع الثاني من القرن الثاني هـ كانت حشود من سكان وادي حنيفة، قد وصلت مع الفتوحات التبشيرية إلى غرب الصين، ثم بلغت الاندلس والبرتغال وغرب فرنسا. لكن ظهور الحزاقات القبلية بين "قحطان وعدنان" أدت لخلافات دموية كريهة، فسقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية وانحسرت الفتوحات والمد الإسلامي. فعادت بعض العشائر من وسط آسيا (بحر قزوين الخزر) وافريقية تونس والأطلس، لتستقر في موطنها قرب وادي حنيفة ونجد الواسعة. حيث كانت القلائل منتشرة في الشام والعراق، منذ استشهاد الحسين (سبط رسول الله) وذريته في كربلاء، وفي القرن التالي كانت حادثة فخ في الحرم، حيث استشهد معظم ذرية الحسن.

في منتصف القرن الثالث الهجري وفدت الي وادي حنيفة عشائر عديدة، من هوازن وتميم وقحطان الواسعة، كما انحدرت نحوه في بعض الأزمنة، أقوام من سكان جنوب العراق والشام. لكن كارثة كبرى حلت بأمة الإسلام، لما استولى الديلم على العاصمتين (بغداد وسامراء) وقتلوا الخليفة ونصبوا بعض قرابته كأعوان لهم. وحينذاك جاء إلى جنوب وادي حنيفة، مسلحون يقودهم "الأخضر" يدعي أنه من السلالة الهاشمية الشريفة، ذو ملامح زنجية يمانية، يدين بملة الزيود التابعة لزيد بن علي ابن الحسين. لكن سكان المنطقة رفضوا ترك العمل بالمذهب المالكي، المستند على سنة المصطفى

واجتهادات صحابته في المدينة المنورة. حيث لم يقتنعوا بآراء أبو حنيفة لتعميل العقل في الشرع، أو استنباطاته بشأن الزواج والمشارب. أما التاليين لهما من الشوافع والحنابلة فهم تابعين لهم مكانة، واجتهاداتهم يؤخذ بعضها ويترك آخر. حدثت فتن وتمرد وظهرت جماعات غوغائية، مثل زنج البصرة والقرامطة والباطنية، يقطعون الطرق على الحجاج والتجار، ينهبون الأموال ويهتكون الأعراض ويسفكون الدماء. حتى قام أتباع الجنابي بقتل المصلين والطائفين عند الكعبة المشرفة، ثم انتزعوا الحجر الأسود وجاءوا به إلى جنوب وادي حنيفة، لكن أهل المنطقة حاربوهم فذهبوا به للجشة، وأمروا الناس بالحج لها مدة عشرين سنة. ولما انبرى العبيديون (فاطمية) لمكافحة ذلك، أعيد الحج لمكة المكرمة، لكن احتراق كنيسة القيامة جلب حملات صليبية بشعة، أثرت على وسط جزيرة العرب ووادي حنيفة. وتلى ذلك الموت القادم من الشرق، حيث تسبب الغزو المغولي في نزوح جماعات غفيرة من البشر نحو الديار النجدية الآمنة.

أدى استيلاء دولة المماليك على الشام وأجزاء من العراق، إلى تحسن أحوال التجارة وانتعاش وسط جزيرة العرب، حيث يقوم السكان بشراء السلع القادمة للساحل الشرقي، من بلاد الهند والصين وجاوة وزنجبار، وينقلوها شمالاً لسواحل الشام، ثم تتجه للبندقية (إيطاليا) وصقلية لتباع بأسعار مجزية في أرجاء أوروبا. وفي تلك الحقبة شددت بعض عشائر وادي حنيفة الرحال نحو حوران الشام، وبخاصة بلدة درعا أي العاربية من النباتات، لكنها غير بعيدة عن ساحل بحر الروم (المتوسط) حيث يتناولون البضائع القادمة من آسيا، ويوصلوها للسفن المتجهة لأوروبا في أمان. وكانت تجوب المنطقة جماعات شريرة من قحطان وعنزرة، الذين شاكسوا قرابتهم من حنيفة، واضطروهم للنزوح شرقاً نحو فيافي الأنبار العراقية، وكرهوا التشيع فانحدروا جنوباً نحو "الخط"، فموانئها القطوف ودلمون وأوال وتاروت، عامرة بالسفن المحملة بأجود السلع، القادمة عبر زنجبار ومسقط.

أدت الحزازات بين السكان لارتحال إحدى عشائر حنيفة "المردة" نحو غرب القطيف، قرب عين دار وبيق في قفر موحش، بعيد عن الساحل مياهه شحيحه وتربته غير خصبة. لذا قام بعضهم بالرحيل عائدين لموطنهم الأساس في وادي حنيفة، الذي لم يسلم هو أيضاً من التناحر العشائري، لكنهم أثروا أسلوب الحسنى بدل سفك الدماء. واشتروا أرض رجل (ابن مغيصيب)

قريبة من موقع السد حالياً، وتوسعوا في استصلاحها للزراعة وبناء المنازل والمصانع، وهي حوائط حجرية متينة على طرف الوادي، تبنى بمهارة واتقان حتى ترفع السيول المنحدرة جنوباً لتسقي المزارع المرتفعة شرقاً. وأدى غزو الصليبيين (قرن 10هـ) للشارقة ومسندم وهرمز، بعد سقوط الأندلس لاندفاع جيوش العثمانية من إسطنبول، نحو الشام ومصر بدعوى حماية جزيرة العرب، التي كره أهلها الترك المدعين أنهم على مذهب أبو حنيفة، لكن فقهاءهم متصوفة، مما حدا بالكثير للتشيع فزادت الحزازات.

أدى تغير المناخ في وسط جزيرة العرب لنزوح مزيد من المردة، من الشرق نحو موطنهم في وادي حنيفة، الذي تحسنت خصوبة أرضه مع تزايد القلاقل بين بعض عشائره. فعندما صعد بعض العناقر من ثرمداء نحو سدوس، نشبت صدامات مع أقوام من بني حنيفة في الوصيل، وكذلك مع قحاطين العمارية. ثم تفاقمت المصاعب حينما اندلع صدام بين عشائر حنيفة أنفسهم، كان أسوأها الخلاف بين آل يزيد وآل درع، الذي نجم عنه ان شدوا الرحال جنوب شرق نحو معكال، وباعوا منازلهم قريتهم البسيطة قرب المليبيد للمردة. الذين كان زعيمهم مانع المريدي ذو فطنة وعزيمة، فأخذ يوسع نفوذه وسيطرته في الجوار، تارة بالحسنى والمجاملة وأخرى بالمال والسلاح. وتمكن من توطيد سيطرته على قلب وادي حنيفة، حيث تصب عدة شعاب في الوادي، منها العلب (معقوف مثل القرن) وسمحة والحريقة وغبيراء وكتلة والبليدة وقليل والقصير. ثم تولت ذريته الحكم بعده على المنهج المستقيم، مع بعض الهنات بين آونة وأخرى، فبرزت للوجود مدينة الدرعية الممتدة من الوصيل شمالاً، حتى تل القرين جنوباً ثم توسعت في صفار. كان بجوارها قرية "العوجاء" حيث يلتوي الوادي بشدة، وبنيت أحياء الطريف والبجيري، وانتعشت البلدة كمقر للمزارعين والرعاة، وممر لقوافل التجار ورواد البيت الحرام للحج والعمرة، مما جعلها ترفل بالرخاء والأمن.

كانت المناطق المجاورة للدرعية (شمال غرب) تعاني من النزاعات، بين بنو تميم والقحاطين في العمارية وملهم، وحتى سدوس والعيينة وثادق، أما الدرعية فقد سلمت من الفتن على مدى قرنين. باستثناء فترة قصيرة أثناء استيلاء دخلاء "القبس" على الحكم، وفي فترة أحداث الوطبان الدامية، والتي تعاملت معها عشيرة المريديية بحزم وذكاء، وخدمت القلاقل بنفي رؤوس الشر للحد الشمالي الشرقي لنجد (الزبير) ومازالوا حتى الآن بعيدون عن

الدرعية. ورغم ان بعضهم تولوا الحكم هناك، وآخرون هم أخوال ابن صباح الذي عاش الملك عبدالعزيز في كنفه سنوات، ثم قاتل معه ضد مناوئيه من السعدون والظفير والمنتفق والعوازم، رغم ذلك فما زال أكثرهم بدون الجنسية السعودية حتى الآن.

قبل ثلاثة قرون تولى حكم الدرعية أحد زعماء المريديية، وهوسعود بن محمد بن مقرن، سعى لتوطيد مكانة الدرعية في وسط وادي حنيفة بنجاح ملموس. وبعده تولى أحد أبناء عمومته (زيد بن مرخان) المهام، فسعى للمزيد من الرخاء للبلدة. لكن لأمر ما قرر جاره الشمالي، أمر شرير فبث كلام عن وجود مؤامرة ضد العيينة، فأعد وليمة كريهة دعا لها أمير الدرعية وحشد من قرابته المريديية، ونفر من قبيلة سبيع ذات النفوذ والإخلاص، وعشائر أخرى من القرى المجاورة لحنيفة، وذلك بعد عيد الفطر عام 1139هـ. ولما وصل المدعوون احتفى بهم خرفاش معمر الطوق، وكان معهم حشد من قرابة الأمير ابن مرخان، وكذلك الأمير محمد بن سعود، نجل الأمير الراحل يحملون سلاحهم خشية أي غدر محتمل. وقبل الطعام قرر خرفاش ذبح جيرانه، فاندفع للمجلس جمع من حرسه والخدم، يحملون الخناجر والسيوف والهراوات والبنادق العتيقة أم فتيل، وانقضوا على الأمير زيد وقرابته والسبعان والدواسر يقتلون ويجرحون.

كان الأمير محمد بن سعود في مقتبل العمر، يرافق عمه ويجلس بعيداً عن الصدر قرب المدخل، وهو شاب شجاع حاد الذكاء سريع البديهة قوي البنية، يرافقه خمسة من حرسه المسلحين. ولم ينتظر حتى يفرغ الأشرار من قتل كبيرهم، ثم يفعلوا به مثل ذلك فقام ورفاقه سريعاً لمغادرة المكان. إلا ان المجلس امتلاء بالدخان والدماء والصراخ، فوجدوا أنفسهم داخل حوي القصر، وقامت النسوة بالصياح وطلب النجدة، لكن الرجال انشغلوا عنهن بالدفاع عن أنفسهم، أو الإجهاز على الضيوف ومداواة الجرحى واخلاء الأسرى. لما لم يجد أهل الدرعية مخرج نحو الركائب، قبضوا على بعض الخادومات والنسوة، وأقفلوا عليهم باب صفة ضيقة، وسارعوا لسؤال بعضهن عن القرابة. فتعرفوا على أميرة في مقتبل العمر، ذات نفوذ وكلمة مسموعة، قيل أنها حفيذة! محمد بن حمد (خرفاش) صاحب وليمة الغدر، وكانت تتحرك بهمة وسط المعمعة، ظانة ان الضيوف من الدرعية هم الذين بدأوا المقتلة. ولما أفهمها رفاق الأمير محمد بن سعود الأمر، تحدثت من كوة مع بعض

قرابتها الذين في المجلس، وعلمت ان جدها! قد أصيب بجرح طفيف، وقد أخرجوه من المكان، كما تمكن بعض المدعويين من الفرار.

كانت تلك الأميرة "الجوهرة بنت عبدالله الطوق المعمر" تبدو ذات فطنة وذكاء ونفس أبية كريمة، لا تقبل القول أو العمل الرديء، وقد أفهمت قرابتها ان الأقل ضرراً بعد كل ما حدث، هو تلافي المزيد من المساوىء. حيث ان أهل الدرعية قد حبسوا بعض قرابتها، وأدخلوا معهم أحمال من بودرة النار "بارود" وسوف يفجرون المكان لو حاول أحدهم اقتحامه. لذا فقد رتبت معهم ايصالهم إلى مأمّنهم، مع أمتعتهم وسلاحهم وركائبهم وجرحاهم وجثث شهدائهم، وأنها سترافقهم مع بعض القرابة والخدم لقرب بلدتهم، بعد ان تكفلوا بالسماح لهم بالعودة سالمين للعيينة، حيث لا صالح لهم في إيذاء النسوة.

اثناء الطريق تبادل ابن سعود مع الأميرة الرأي، حول ما جرى في ذلك اليوم الكريه، حيث أبدت امتعاضها مما قام به بعض قرابتها، مع لمحة حول شكها ان استفزاز ما قد جرى في المجلس، أدى لتطور الأمر لتلك المقتلة المسيئة، لكنه أكد لها ان النية كانت مبيّنة للغدر. ولما كادوا يتجاوزون الوصيل وقد حل الظلام، شاهدوا جمع زاحف نحوهم يحملون المشاعل، فأدرك ابن سعود ان بعض الفارين من المذبحة، هرولوا للدرعية واستنجدوا بجموع مسلحة، لإغاثة رفاقهم في العيينة. لذا أمر بنت المعمر للعودة مع رفاقها من النساء والخدم، لتلافي ما قد يسيء لهم. ولم تنتصف تلك الليلة إلا واسفرت المداولات عن اختيار الأمير محمد بن سعود، قائد لآل مقرن المريدية، نظراً لمكانة والده المميزة، وما يتمتع به هو من الحكمة والرزانة وبعد النظر. وأجمع الكل على أنه أفضل من يقدر على سياسة أمور قرى الوادي، بالطريقة الحسنة ويجنب بلدهم والجيران الفتن والنزاعات، ورغم أنه ما زال في الثلاثينات، إلا انه يفوق من هم أكبر منه سناً، ويحظى باحترام ومحبة غالبية الأهالي. وبقي في الحكم أربعة عقود أثبت للجميع كفاءته الإدارية، وازدهرت أحوال الدرعية والوادي، فعم الأمن والرخاء والصلاح ما حولهم. أول انجازاته عدم التسرع بطلب الثأر من خرفاش، صاحب وليمة المذبحة في العيينة، فقد كفاه القرابة مؤونة ذلك فتخلصوا منه، وعينوا قريبه عثمان بن معمر أمير عليها، وزالت العداوة بين عاصمتي وادي حنيفة.

في العشرين سنة التالية اتحدت قرى الدرعية تحت رآيته، وصارت المدينة معبر تجاري مزدهر، بين القطيف وشمال جزيرة العرب (العراق والشام) وذات نفوذ عسكري يهابه الجميع. وتحولت نحوها قوافل مرتادي الحرمين الشريفين، وازدهرت بها المدارس والمكتبات والمساجد، واستوطن بها الصناع والحرفيون المهرة، وجلبت لأسواقها أجود السلع والبضائع، من فارس والهند وجاوة والصين.

بعد ذلك بعشرين سنة أقبل نحو الدرعية ركاب صغير قادم من العيينة، فيه رجل اربعيني وزوجته وصغاره، يصحبهم خادمان وثلاث جوارى، على ركائب هزيلة وفي حالة رثة من وعثاء الطريق. اتجهوا نحو مسكن بعض سبعان الدرعية، الذين رحبوا بحفاوة واضطراب بمعلمهم. حيث أمير الدرعية لم يكن راض عن بعض تصرفات ذلك الفقيه، بخاصة لما هجم أتباعه على رعاة غرب الدرعية، وامتحنوا توحيدهم وأفتوا بتكفيرهم وأخذوا حلالهم. لكن الشيخ المتطوع لإرشاد الناس طمأنهم أنه سيمضي الليلة عندهم، متوجهاً نحو بعض طلبته في منفوحة، ولا يريد ان يشق عليهم. قالوا له ان تلك البلدة في صدر الإسلام تسمى بلد الأخبثان (الخمير والنساء) وما زال فيها الفجور، ولن يلقي فيها إلا ما جرى له في البصرة والأحساء ثم حريملاء والعيينة، بخاصة ان المسيطرين عليها (مزروع ودواس) من المستهزئين.

كانت زوجة ذلك الشيخ ماهي إلا الأميرة الجليلة النبيلة الحكيمة، الجوهرة المعمر التي رتبت خروج الأمير محمد بن سعود وصحبه، من مقر مذبحه خرفاش بأقل ضرر ممكن. وكان عمها (قريبها!) عثمان لما تولى إمارة العيينة، قد أعاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب من المنفى، الذي أرسله خرفاش له وزوجه إياها. لكن بعد سنوات قام الشيخ ورفاقه ببعثرة قبور الصحابة شهداء معركة مسيلمة الكذاب، لأن البعض يتبرك بزيارتها فجاء أمر من قائم مقام الوالي العثماني في الهفوف بقتله، لكن المعمر أشفق عليه وأسرتة ورتب لهم الفرار من العيينة. قالت لهم الأميرة أنها على معرفة، مع زوجة الأمير محمد وستزورها في الصباح، للإذن لهم بالبقاء في الدرعية، لكن الشيخ رفض ذلك لما حدث من القراء ضد رعاة الدرعية. أصرت على الذهاب واحتفت بها زوجة الأمير ابن سعود، وكانت موزي الكثيرية هذه امرأة صالحة صوامة قوامة، لكنها تعرف بغض الناس لتصرفات الشيخ ابن عبدالوهاب المتشددة. أوصت ان انجح سبيل هو التوجه لأخ الأمير، ثنيان

بن سعود (الضريير) وهو رجل ذو ورع وتقوى، ومبتعد عن كل الشبهات وله دالة على أخيه. وكان معجب بصلاح الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لكنه غير راضي عن التزمت في بعض طلابه، واعتدائهم على دماء وأموال وأعراض من يجهلون بعض التفاصيل الدينية. وأمر ان لا يبقى الشيخ عند السبعان (سويلم ودغيم ومليح) لما في ذلك من خطر عليهم جميعاً.

رتب ثنيان غداء صبح اليوم التالي حضره أمير الدرعية (أبو فيصل) والشيخ محمد، وتوسط للموافقة على إيواء الشيخ في الدرعية، شريطة تعهده بنبذ تكفير أهل القبلة، ممن لا يحسنون تفاصيل الألوهية والربوبية، أو الأسماء والصفات وتفاصيل التوحيد. ومنع الغلمان القراء من تكفير العامة بالشبهات، ولا يقولوا لمن ألقى إليهم السلام لست مؤمناً بغية سلبه، والنهي عن المنكر بطريقة حسنة غير منكرة. وتجنب التشبه بما فعله القرامطة عند الصفا والمروة، أو فتاوى خوارج الحرورية لسفك الدماء، أو التذرع ببدعة دروز الشام عن التوحيد، أو أقوال فلاسفة الموحدين في مراکش، الذين نشروا الفتن وأضاعوا الأندلس. وعدم الادعاء بأنهم الفرقة الناجية أو أولياء الله، الذين تعلوا مراتبهم فوق الأنبياء، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ونبذ الاجتهادات الباطلة من مشايخ قرون الشر (9-4هـ) بخاصة بغال ممالك مصر والشام. بل النصح باتباع الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، وعلى وصايا الأئمة الأربعة مالك وحنيفة والشافعي وحنبل، ونبذ التعرض للخلفاء الراشدين أو الخروج على ولي أمر المسلمين. ثم ختم حديثه بوجوب ابتعاد الشيخ عن أمور مالية البلاد، وان الأمير يحق له إذا نقصت الموارد في الطوارئ، ان يفرض إضافة للزكاة مدفوعات أو قروض على التجار أو الصناع والمارة، بما يكفي لتجاوز الضائقة وجرت الموافقة على ذلك وتوثيقه كتابياً.

في العشرين سنة التالية استمر تطور وازدهار الدرعية، بفضل الله ثم حنكة أميرها، مما أثار الغيظ والنفور لدى حكام البلدات المجاورة، من الدلم حتى حريملاء، وشنوا هجمات على الدرعية استشهد فيها عدد من أبناء الأمير محمد بن سعود وقرابته وأنصاره. ثم توجهوا لمتصرف الأحساء للاستعانة بعساكر العثمانية، لكنهم لم يلقوا له بال، فتوجهوا لأمير نجران الغريب الأطوار، فجاءهم المكرمي بجيش عظيم طامعا في عشرة آلاف زر ذهب، ودانت له البلدات حتى وصل حائر سبيع، الذين استنجدوا بالدرعية فأرسل

لهم الإمام محمد بن سعود أكبر أولاده، في قوات قليلة. لم تتمكن من صد البغاة الباطنية (اسماعيلية حشاشين) ودخلوا الحابير وقتلوا وسرقوا وأفسدوا، وأسروا عدد غفير من السبعان مربطين كالدواب، حتى وصلوا غذوانة (قرب قصر الناصرية) مستعدين لدخول الدرعية بعد ساعات، وأصابته الإمام محمد بن سعود غشاوة من الغم. وانتابته علة قلبية أو جلطة دماغية، فانتقل لرحمة ربه في تلك الليلة، وقام ولداه بتسوية الأمر مع خبثاء المكرمية، الذي أخبر صحبه في الصباح ان الأسياد من الجن! أمره ان يعود لبلدته من فوره. وبويع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ليتولى قيادة الدرعية فحصد أسوارها، وتوجه لبناء جيش قوي يدفع به شرور الأعداء، عن عاصمته التي اتسع نفوذها على الجوار.

مثل والده تولى عبدالعزيز بن محمد الحكم لمدة طويلة، تمكنت البلاد خلالها من بسط سيطرتها على معظم أرجاء جزيرة العرب، بل ومن العراق والشام. لكن القيادة الفعلية خلال السنوات الأخيرة كانت لولده القوي سعود الملقب "أبو شوارب" الذي بطش بكل المناوئين، واستغل كافة الفرص والوسائل لتوسيع حكم الدرعية. ولما غزا نابليون (أبونار) مصر والشام، وانقطع الطريق بين الحجاز وإسطنبول، تمكن من ضم الحرمين تحت ولاية الدرعية بدل الأشراف (أبانمي قتادة) ووصلت قوافل تحمل الفضة والسلاح لدعم أبو شوارب، وانتشرت ريالات تريزا النمساوية (فرانسة) في البلاد. لكنه لما منع ركاب والده السلطان العثماني عن مكة، حتى يزيلوا المزامير والتنباك رفضت الإذعان له، وسمته سعود كبير الخوارج. مما حدا بالسلطان لإرسال جيوشه من مصر والشام والبلقان، فدخلوا الحجاز وغزوا عسير، فأوحى الأشرار لسعود ان يستعين في النفقة، بموجودات اللحد النبوي الشريف في المدينة، وكان من ضمنها ألماسة الدم المغولية الملعونة. ولما نقلت لقصره الفاره في الدرعية، ثم مرض ومات وتولى ابنه عبدالله الحكم. لكنه كان ضعيف التدبير يعارضه اخوته كثيرو العدد قليلو البركة.

وصلت القوات العثمانية للدرعية وحاصرتها لشهور، بقيادة إبراهيم باشا ابن والي مصر، الذي تمكن من ترتيب ارسال الإمام عبدالله الضعيف، الى إسطنبول ليعدم شنقاً، وسقطت الإمارة السعودية الأولى في الدرعية، وانقرضت كافة ذرية الإمام عبدالعزيز الغفيرة العدد. لكن الله قيض ان يقوم أحد حفدة الإمام محمد المؤسس، تركي بن عبدالله بالاختباء في جبال عليّة

الحريق عند السبعان، ثم بعد سنوات نزل وانقض على أعوان الترك، وأعاد تأسيس الإمارة السعودية الثانية في الرياض، وقد انقرضت كافة ذرية الإمام محمد بن سعود، ولم يبقى الآن سوى ذرية حفيده تركي هذا. ثم تولى الحكم ولده فيصل الذي قاوم الأتراك وأعوانهم، لكن سلطانه لم يشمل سوى قلب جزيرة العرب وجزء من شرقها. بعد وفاته شب نزاع كره بين أبنائه، مما حدا بذرية أحد الولاة (حائل) ان يخون الأمانة، ويتحالف مع الترك ضد سادته من آل سعود، وأعمل فيهم القتل والنفي والتنكيل. مما اضطر أحدهم (عبد الرحمن بن فيصل) للتوجه مع أهله شرقاً لعشر سنوات، ولما مات المهاد العقيم عاد الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن من الكويت، واسترد حكم أسلافه تدريجياً. وقد حارب معه والذي رحمهم الله، في الدلم ثم عنيزة والشنانة وجراب والمخلاف السلیماني، واستمر عبد العزيز في نضاله حتى أقام الدولة، التي سماها المملكة العربية السعودية، ثم أكمل أبنائه العمل حتى صارت البلاد احدى أكبر دول العالم، في التجارة والصناعة والنفوذ.

هذه أيها الأحبة والمعارف نبذة موجزة عن يوم التأسيس، الذي نحتفل به اليوم 2022/2/22م، وقد سألني بعضكم عن خلفيته، فاقتبست لكم هذه النبذة الموجزة، من سيرة والذي رحمه الله، والتي طبع ملخصها ورقياً عام 1437هـ، وتوجد أجزاء منها على نطاق شبكة المعلومات (انترنت) في هذا الموقع .. راجياً الله ان تجدوا فيها ما يفيدكم. أسأل المولي ان يحفظ خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك سلمان، ويوفقه وسمو ولي عهده الأمين لما فيه صلاح البلاد والعباد.